

كلمة لوزيرة الخارجية الإسرائيلية، تسيبي ليفني،
أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة^١
نيويورك، 2007/10/1

فخامة الرئيس
أبناء عائلات الجنود المخطوفين،
المندوبون الكرام ،
سيداتى وسادتى ،

قبل ثلاثة آلاف عام خرج شعب إسرائيل من العبودية في مصر إلى الحرية والاستقلال في أرض إسرائيل .

يروى لنا سفر الأسفار عن قيام بني إسرائيل خلال رحلتهم إلى الحرية بحط الرحال في محطة توقف كانت لها أهمية حاسمة: نزول الوصايا العشر على سيدنا موسى في مقام طور جبل سيناء .

في موعد انعقاد الجمعية العامة هذا العام، يقوم الشعب اليهودي بإحياء ذكرى رحلته التاريخية في عيد المظلة .

وفي كل عام وعام، خلال هذا الأوان، يتذكر أبناء شعبنا بأن الطريق الطويلة إلى الحرية تتطلب قبول قيم إنسانية أساسية .

منذ ستين عاما، منذ ولادة دولتنا من جديد في وطننا التليد - وأورشليم القدس في قلبه - ونحن نتذكر هذا المبدأ ولم ننسه .

إن القيم الأساسية للتسامح والتعايش والسلام التي تشكل القاعدة الأساسية لكل نظام ديمقراطي، جديرة بالحماية في كل مجتمع وجديرة بالنهوض بها بين الشعوب. هذه هي رسالة جيلنا .

سيدي الرئيس ،

ما يحرك الصراع في منطقتنا ويذكي ناره هم أولئك الذين يرفضون هذه القيم الأساسية - أولئك الذين يتطلعون إلى القوة دون تحمل المسؤولية: أولئك الذين يسعون ليس من أجل تحقيق حقوقهم وإنما بهدف حرمان الآخرين من حقوقهم .

إن الصراع بجوهره ليس صراعا على الأراضي وإنما صراع على القيم .

مفهوم أن للصراع في منطقتنا جانب إقليمي أيضا .

هذه الحقيقة معروفة لنا جيدا، وكما أثبتنا في الماضي، نحن مستعدون للتوصل إلى تسوية إقليمية في حال التوصل إلى سلام دائم .

^١ المصدر: موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية في الإنترنت
<http://www.altawasul.net/MFAAR/>

لكننا نعرف جيدا أيضا، وبخاصة بعد أن انسحبنا من لبنان ومن قطاع غزة - أن الانسحاب من مناطق، بعد ذاته، لن يجلب السلام اذا لم نقم بمعالجة المصادمة الأساسية بين القيم التي تحتل جوهر الصراع .

صحيح أن إسرائيل تقف على خط الجبهة الأول في هذه المعركة، بيد أن الحرب ليست حربها الخاصة. فالحديث هو عن صراع عالمي .

إن التصور القائل بأن الحديث هو عن صراع محلي - له حدوده الإقليمية - قد انهار في المدينة (نيويورك) التي تتواجده فيها اليوم، مع الاعتداء على مركز التجارة العالمي ذات صباح في شهر أيلول/سبتمبر قبل ست سنوات .

من الواضح للجميع اليوم بأن المتطرفين يخوضون حربا دامية موجهة ضد المواطنين المدنيين والمجتمعات الواحدة، وضد القلوب والأدمغة في كل زاوية من العالم .

من الواضح أيضا أن الصراع في الشرق الأوسط ليس السبب لأجندة المتطرفين العالمية، وإنما نتيجة لها .

ورغم ذلك، فإن تسوية الصراع السياسي في الشرق الأوسط متوقفة على الأطراف ذاتها - وإسرائيل من جانبها ، معنية بحل الصراع .

لكن، ولكي يكون نجاح حل الصراع حقيقيا ودائما يتوجب عليك - يا أمم العالم - أن تكوني شريكة في النضال العالمي المشترك ضد التطرف والإرهاب اللذين يذكيان نار الصراع، وذلك ليس لأجلنا فقط، وإنما لأجلك ذاتك ايتها الأمم .

بهذه الروح، أريد التطرق خلال أقوالي اليوم الى السؤال، كيف يمكن حل الصراع الخاص في منطقتنا، لكن أيضا وفي ذات الوقت، اود التطرق الى الصراع الأوسع الدائر اليوم - وهو صراع يلقي بظلاله علينا جميعا .

هذا الصراع هو صراع عالمي، ليس فقط لأنه يستهدف المواطنين المدنيين في كل مكان من العالم، وإنما لأن المتطرفين قد اختاروا كهدف لصراعهم أيضا ركائز كل مجتمع عصري: وهي الديمقراطية، التسامح والتعليم .

هذه هي حلبات المعركة الجديدة خلال القرن ال-21 وفي هذه الحلبات، أكثر من أي مكان آخر، سوف يتم حسم مستقبل عالمنا .

سيدي الرئيس ،

أنا أؤمن بالديمقراطية. أؤمن بقوتها الفريدة على خلق مجتمعات حرة وواحدة تقوم على مبدأ احترام حقوق الإنسان .

الديمقراطية هي مثال أعلى وسام لكنها هشّة أيضا .

اليوم وفي اجزاء مختلفة من العالم، فإن المتطرفين - الذين يعارضون قيم الديمقراطية ذاتها - يتسللون إلى داخل العملية الديمقراطية، ليس لأنهم قد تخلوا عن أجندتهم العنيفة ونبذوها، وإنما من أجل المضي قدما بهذه الأجندة .

وقد أعلن عن ذلك أحد المتحدثين باسم منظمة القاعدة مؤخرا حين قال " سوف نستغل ديمقراطيتكم من أجل تقويضها وهدمها ."

مثل هذه الأقوال يجب أن توقظنا جميعا من سباتنا .

لقد حان الأوان لنعود ونطالب بحقوق الديمقراطية، وكخطوة أولى لذلك رفض ولفظ من يسيئون استغلالها .

إن الديمقراطية الحقيقية تتناول قبل كل شيء المثل والقيم وليس عمليات الاقتراع والتصويت .

ما من ديمقراطية حقيقية على وجه البسيطة تتيح لمليشيا مسلحة او لمجموعات ذات أيديولوجية عنصرية أو عنيفة بأن تشارك في العملية الانتخابية.

بيد أن بعض هذه الديمقراطيات تتصرف بصورة مقلقة وبمعايير مزدوجة .

هناك دول تصر على الأهمية الكبرى للحفاظ على المعايير العالية في بلادها غير انها تنساها عند الحديث عن دول أخرى . هناك متطرفون عنيفون - لم يكن لهم اي أمل بالمنافسة على منصب في بلادهم - يعتبرون سياسيين من الصف الأول عند انتخابهم في بلدان أجنبية .

بهذه الطريقة نحن نعظم من قوة أولئك الذين يستخدمون الوسائل الديمقراطية من أجل دفع عجلة أهدافهم المناهضة للديمقراطية. بذلك، نحن نعزز من قوة أولئك الذين يمسون ليس فقط بالمجتمع الذي ينتمون إليه وإنما يهددون مجتمعاتنا أيضا .

اليوم، ومن فوق هذا المنبر، أناشد المجتمع الدولي بأن يتبنى على الصعيد العالمي طريقة عمل الديمقراطيات على المستوى الوطني - وأن يضع نظاما عالميا من المعايير للمشاركة في انتخابات ديمقراطية حقيقية . نحن بحاجة الى كود ديمقراطي عالمي يلزم جميع من يطلبون التمتع بشرعية العملية الديمقراطية، بأن يكسبوا هذه الشرعية من خلال احترامهم لمبادئ مثل احتكار الدولة للاستخدام القانوني للقوة، رفض العنصرية والعنف، وحماية حقوق الآخرين.

إن الهدف من هذا الكود العالمي ليس إملأ قيما أو خنق الأصوات الشرعية التي لا نوافق عليها او نتفق معها. بل هدفه هو حماية القيم الديمقراطية الأساسية من أولئك المصريين على استغلال الطريقة الديمقراطية ضد نفسها: والايضاح للجميع بأن المشاركة في العملية الديمقراطية ليست حقا فقط وإنما مسؤولية أيضا .

سيدي الرئيس ،

أعرف بأن إغراء التفاوض مع المتطرفين قد يكون قويا . فهو يحمل في طياته وعدا بالاستقرار والهدوء. ونحن نأمل في خفايا أنفسنا بأن نتمكن تدريجيا من ترويض الحيوان المفترس بواسطة إطعامنا له .

بصفتنا مجتمعات حرة، نحن نفخر - وبحق - بالاحترام الذي نكنه للتباين والاختلاف .

غير أننا نقدم خدمة سيئة للاختلاف حين نقوم، باسم الاختلاف والتنوع، بإبادة التسامح تجاه عدم التسامح .

لقد علمتنا تجربتنا الأليمة والمريرة بأن محاولة شراء صمت المتطرفين هي حل على المدى القصير فقط، ندفع مقابله ثمنا باهظا على المدى البعيد.

بدل ذلك ,يجب أن نضع أمام مجموعات مثل حماس وحزب الله خيارا واضحا - بين طريق العنف وبين طريق الشرعية. لا يمكن السماح لمثل هذه المجموعات بأن تتقدم في الطريقين بذات الوقت.

وهذا هو الخيار الصارم الذي يجب وضعه أمام النظام الراديكالي في إيران .

ما من دولة مسؤولة تخالف حقيقة كون إيران الراعية الأبرز للإرهاب. إيران هي المصدر الرئيسي لعدم الاستقرار والصراعات في العراق, في لبنان, في السلطة الفلسطينية وفي جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط, وهي العدو لكل امكانية تعايش بين إسرائيل والعرب .

لا أحد يخالف حقيقة قيام إيران بإنكار الكارثة وبالتحدث علانية عن تطلعها الى محو إحدى الدول الأعضاء في الأمم المتحدة - أي, بلادي, إسرائيل - من الخريطة .

ولا أحد يخالفني الرأي بشأن قيام إيران بالعمل وبإصرار, من خلال خرق قرارات مجلس الأمن, من أجل تحقيق هذا الهدف .

لكن ورغم كل ذلك, هناك دول, تقوم بحجة الاتفاق والتدخل, بمواصلة إفشال الخطوات الملحة والعاجلة المطلوبة لوضع حد لتطورات إيران الشريرة .

كثيرون جدا يرون الخطر لكنهم يقفون موقف المتفرج على أمل أن يقوم أحد آخر بتحمل مسؤولية القيام بحل المشكلة .

علينا أن نسأل, ما هي قيمة منظمة غير قادرة على القيام بعملية ناجحة إزاء الهجوم المباشر على المبادئ التي تأسست من أجل الدفاع عنها؟

لقد أذنت الساعة لتقوم الأمم المتحدة ودول العالم بالوفاء بوعدنا - ليس بعد اليوم أبدا .

مضى الزمن الذي كان يمكن خلاله الاكتفاء بالأقوال, اما الآن فثمة ضرورة للعمل من أجل حماية القيم الأساسية للديمقراطية.

لقد حان الأوان, سيدي الرئيس, لكي نرى إصرارا إخلاقيا من هذا النوع في مجلس حقوق الإنسان أيضا- كي يتحول هذا المجلس إلى درع يحمي ضحايا حقوق الإنسان وليس إلى سلاح بأيدي من يسيئون استغلاله .

إسرائيل لم تحاول قط الامتناع عن إجراء مناقشة حقيقية حول وضع حقوق الإنسان داخل حدودها. بيد أنه طالما واصل المجلس التركيز على إسرائيل بصورة لا تتسم باية تناسبية, فإنه يضعف بذلك الصوت الأخلاقي للأمم المتحدة, ومن يدفع ثمن هذا العمى هم ضحايا الاعتداءات الفظيعة على حقوق الإنسان في دارفور وميانمار وفي أماكن أخرى منتشرة بجميع أرجاء العالم .

سيدي الرئيس ,

ما من توقعات بشأن مستقبل مجتمع أدق من المضامين التي يعلمها لأبنائه .

لبالغ الأسف, فإننا نرى في منطقتنا برامج تلفزيونية للأطفال تحكي فيها دمية ميكى ماوس عن المجد الذي سيحظى به المخرب الإنتحاري, وتغني فيها طفلة بالسابعة من العمر عن أحلام الدم والمعارك التي تراودها .

الدين، الذي خصص ليكون مصدر أمل ومواساة روحانية، يساء استغلاله من أجل الدعوة إلى استخدام السلاح ويتم إقحام صاحب العزة والجلالة مرة أخرى إلى ساحة المعركة .

لقد آن الأوان لاستعادة الدين من أيدي أولئك الذين حولوه من ملاذ إلى سلاح. حان الأوان لاستعادة التعليم من أيدي الذين يحولونه لأداة كراهية بدل وسيلة لخلق الفرص .

وكما هو الحال دائما، فإن طريقة التربية الأكثر تأثيرا، مع أنها الأصعب، هي التربية من خلال القدوة الشخصية. لا يمكننا أن نتوقع من أبناء الجيل الناشئ لدينا أن يقدرُوا ما نحن غير مستعدين لحمايته ودفع الثمن مقابله. وما من شك بأن هناك حاجة إلى دفع ثمن .

زعيم يحتمل الضغوط الجماهيرية. رجل أعمال يتنازل عن فرصة اقتصادية. معلم ومرشد روحي عليهما إيجاد قوة داخلية بغية تعليم الحقيقة والتسامح في أجواء ملؤها التطرف والعداء .

على جميع مستويات المجتمع، نحن مطالبون بدفع ثمن. لكن إذا لم نقم بدفع الثمن المطلوب اليوم، فإننا، ومن سيأتون بعدنا، سوف نضطر إلى دفع ثمن أكبر وأعلى بكثير .

سيدي الرئيس ،

هذه الأفكار تمر في خاطري اليوم، ونحن نحاول دفع عملية المصالحة بين إسرائيل والفلسطينيين .

إن المصالحة ليست حسما للسؤال بشأن من كان محقا، ومن كان مخطئا. وإنما المصالحة تعني خلق رؤيا مشتركة ومسؤولية مشتركة بالنسبة للمستقبل .

خلال الأشهر الأخيرة، قام رئيس الوزراء أولمرت والرئيس عباس، ببذل جهود صادقة وحقيقية من أجل بلورة أوسع قاعدة مشتركة من التفاهات السياسية .

لا بديل للعملية الثنائية بين الطرفين. الفشل ليس خيارا - والطرفان ذاتهما هما من يتوجب عليهما أن يحددا نجاح العملية .

إن الأساس للسلام الحقيقي يكمن في رؤيا حل الدولتين، إسرائيل وفلسطين، اللتين تعيشان جنبا إلى جنب بأمن وسلام. العالم شريك في هذه الرؤيا، لكن ما لا يقل عن ذلك أهمية هو أن يتبنى العالم المبدئين الجوهريين الناجمين عن هذه الرؤيا .

الأول - دولتان، وطنان قوميان - ومثلما أن إسرائيل هي الوطن القومي للشعب اليهودي، فإن فلسطين سوف تقام كوطن قومي وكحل لتطلعات الشعب الفلسطيني الوطنية، بما في ذلك اللاجئيين .

الثاني - عيش الدولتين جنبا إلى جنب بأمن وسلام - ومثلما أن دولة فلسطينية مزدهرة ودائمة في الضفة الغربية وقطاع غزة هي مصلحة إسرائيلية، فإن إسرائيل أمنة يجب أن تكون مصلحة فلسطينية أيضا. فالعالم لا يمكنه أن يسمح لنفسه بدولة إرهاب أخرى .

على أساس هذين المبدئين، يمكن للطرفين أن يرسموا الحدود المشتركة وأن يحولا رؤيا الدولتين من حلم إلى واقع وحقيقة .

وكي نتمكن من النجاح، علينا أن نركز أنظارنا نحو مستقبل أفضل، من خلال مواجهتنا لتحديات الحاضر وتعلمنا واستفادتنا من عبر الماضي .

وفيما ندفع عجلة التفاهات السياسية المحددة والملموسة، لا يقل عن ذلك أهمية أن نقوم بتغيير الواقع على الأرض - أن نظهر للإسرائيليين والفلسطينيين بأن وعود السلام تنفذ فعليا، وهي ليست مجرد حبر على ورق .
خلال الأشهر الأخيرة، قامت إسرائيل بخطوات ملموسة من أجل خلق مناخ أفضل، ونحن مستعدون للقيام بمزيد من الخطوات في هذا الاتجاه .

إننا نعي الصعوبات الكثيرة التي ترافق حياة الفلسطينيين اليومية. كما نعرف جيدا - بل جيدا جدا - عبء الإرهاب الذي يثقل على كاهل سكان إسرائيل، والتزامنا الأول من حيث أهميته هو ضمان أمنهم وسلامتهم .سوية، يمكننا تغيير هذا الواقع، وهو واقع لسنا ملزمين بالرضوخ له .

لسنا سذجاء. نحن نرى الصعوبات التي بتتمة الطريق وأعداء السلام الذين يتربصون لنا في الطريق .يمكننا التوصل الى تقدم فعلي في المجالات التي تتسلم مسؤوليتها حكومة فلسطينية ناجعة تقبل بمبادئ الرباعية الدولية، وتطبق الى جانب إسرائيل، التزامات خريطة الطريق .

ساعة نقوم بمجازفات من أجل السلام ، فإننا نتوقع من المجتمع الدولي ومن العالمين العربي والإسلامي عرض الدعم والمساعدة وليس وضع الشروط .

هذا الدعم يمكنه أن يأتي بأشكال مختلفة .

يمكن للدعم أن يكون على شكل تقديم مساعدة سياسية واقتصادية إلى الحكومة الفلسطينية الجديدة الملتزمة بالتعايش والتي تحاول إقامة الأسس لدولة مزدهرة رايتها السلام .

ويمكن لهذا الدعم أن يأتي على شكل تبني واضح للتفاهات السياسية التي يتم إحرازها بين الطرفين .

كما يمكن لهذا الدعم أن يأتي على شكل دفع وتعميق العلاقات الإقليمية ومجالات التعاون بين العالم العربي وإسرائيل، ونحن نتقدم بذات الوقت على طريق السلام بين إسرائيل والفلسطينيين .

أخيرا، يجب أن يأتي هذا الدعم على شكل خروج ضد جميع أولئك الذين يصرون على منعنا من النجاح .

علينا أن نقف قبالة أولئك الذين لا يكتفون بالاحترام لحياة الإنسان وحرية - أولئك الذين يحتجزون بالأسر جنودنا غلعا شاليط، أودي غولدفاسير وإيلداد ريغيف - الذين يتواجد أبناء عائلاتهم معنا اليوم هنا، وألمهم يعتصر قلوبنا دوما .

بعد انسحاب إسرائيل من قطاع غزة، ولكي نعطي فرصة للسلام، علينا أن نقف ضد هؤلاء ،الذين اختاروا الهدم بدل البناء، ويختارون - في كل يوم ويوم - توجيه وإطلاق صواريخهم نحو مساكن ورياض أطفال داخل الحدود الإسرائيلية .

علينا أن نحارب أولئك الذين يعتبرون الديمقراطية أداة لنشر الكراهية، ويعتبرون التسامح طريقا باتجاه واحد، ويعتبرون التعليم وسيلة لتسميم نفوس ابناء الجيل القادم .

سيداتى وسادتى ،

أؤمن، على الرغم من جميع العقبات، بأنه قد نشأ زخم لفرصة جديدة، وشراكة تقوم على المصالح تعمل لصالح السلام .

إن لعامل الزمن أهمية جوهرية . نحن ملزمون تجاه أنفسنا وألادنا بأن نجد الجرأة والحكمة لنقوم بالاختيارات الصحيحة وبالطريقة الصائبة .

سيدي الرئيس ،

خلال عيد المظلة (السوكوت)، يقوم اليهود بإحياء ذكرى رحلتهم من العبودية الى الحرية، من خلال استبدال بيوتهم بعرائش، مثل العرائش المتضعضة التي استخدمها أجدادنا في طريقهم الى أرض الميعاد .

منذ ثلاثة آلاف عام وهذه العرائش المؤقتة – المعرضة والمكشوفة لقوى الطبيعة – تشكل تذكارا لذلك بأنه يتم ضمان الاستقرار والأمن، ليس بواسطة المباني التي نشيدها فقط وإنما بواسطة القيم التي نتشاطرها أيضا .

ربما لهذا السبب تحولت العريشة الى رمز السلام في التراث اليهودي .

نحن نتوجه الى أورشليم القدس ونقول في كل يوم بصلواتنا :

"وابسط فوقنا ظلة سلامك" ...

ليت السلام يحل في أيامنا، على جميع شعوب العالم... آمين

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx